مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (3)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017

بناء الزمان في قصص "تيار الوعي"
عند أنيسة عبوّد وغادة السّمان

الدكتور فاخر مياً*
الدكتور يوسف جابر **
هدى سليمان الحافي ***

(تاريخ الإيداع 31 / 7 / 2016. قبل للنشر في 1 / 6 / 2017)

□ ملخّص □

يلقي هذا البحث الضوء على حضور الزّمان في قصّة "تيار الوعي" ويبيّن دوره في جعل الذهن متوقداً بالأفكار، موضحاً علاقة الإنسان المعقدة بالزّمن، وكيف يهشّم ذهن الإنسان هذا التسلسل المنطقي للزمن، باسطاً أوجه الزّمن المختلفة، وذلك تبعاً لمضمون خفي، يصعب بلوغه بالطريقة التقليدية في الكتابة، الأمر الذي يفرض منطقاً جديداً، يوضح تداخلات وتشابكات أبعاد الزّمن المختلفة، ولا يخفي ما لذلك من أثر في معرفة ما تخفيه الذات من أسرار، وكذلك تأكيد المفهوم الذاتي للزمن، والبرهان على أنه لا وجود للزمن، بعيداً عن الذات التي تدركه.

الكلمات المفتاحية: تيار الوعي، زمان ، ذهن.

* أستاذ – قسم اللّغة العربيّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** أستاذ – قسم اللّغة العربيّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
*** طالبة دكتوراه – قسم اللّغة العربيّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (3)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017

The time structure Within of the stream of consciousness For Anisa Abboud and Ghada Assaman

Dr. Fakher Maya[*]
Dr. Youssef Jaber[**]
HoudaAlhafi[***]

(Received 31 / 7 / 2016. Accepted 1 / 6 / 2017)

□ ABSTRACT □

This research highlights on the presence of the time in the stream of consciousness and clarifies its role in making the mind full of bright ideas and thoughts clarifying the complex human relation with time and how the human mind smashes this logical sequence of time displaying various sides of times according to invisible content hard to be understood bylletraditional way of writing and this forces a new reasoning explains the interferes of several time dimensions.

And it is known to everyone that this has a great effect in knowing what secrets self covers as well as confirming the self-understanding of the time and proving that time isn't existed far from the self that realizes it.

Key words: stream of consciousness - time – mind .

[*]**Professor, Department of Arabic language, faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Syria.**
[**]**Professor, Department of Arabic language, faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Syria.**
[***]**Postgraduate student, Department of Arabic language, faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Syria.**

مقـدمـة:

تسعى قصص "تيار الوعي" في تناولها الزّمن، إلى إعادة اكتشاف تلك العلاقة المتشابكة للإنسان مع الزّمن، وفي ضوء ذلك يقف القارئ مندهشاً أمام هذا الكم الهائل من المستويات التي يحضر فيها الزمن، ويتمازج فيها الماضي والحاضر والمستقبل، وفق طريقة معقدة تعكس تعقيد أفكار الإنسان التي لا تعترف بالفواصل بين الأزمنة، وهي بذلك تغدو فرصة للكشف عمّا يعتمل في قاع النّفس الإنسانيّة، ولعل هذا التّرابط القويّ بين الزّمن وباطن الإنسان هو الذي عمّق الإحساس بذاتيّة الزّمن، الأمر الذي فرض على الكاتب طريقة جديدة في التعامل مع عناصر السرد القصصي، زادت في حاجته إلى التّحرر " من عبودية العقدة الروائية، والأحداث المفتعلة، وكلّ الأنماط الأدبية السائدة، ليلتقط الحياة وهي تجري، وليسجل اللحظة بكاملها، مع ما يتضمنه من أفكار وأحاسيس مختلطة، من أحداث ومشاهد ممتزجة، الحياة ليست منظمة متساوقة، كما يصورها الروائيون الاتباعيون"[1]

لقد أحدثت إعادة النّظر لطريقة تناول الزّمن، في القصّة تغيرات متنوعة، جعلت منه –على الرّغم – ممّا ينطوي عليه من إشكاليات وتداخلات– إحدى أهمّ الرّكائز في النصّ القصصّي، ولا سيما في قصّة "تيار الوعي" والتي تُعرّف بأنّها: " نوع من القصص، يركّز فيه أساساً على نوع من مستويات ما قبل الكلام من الوعي بهدف الكشف عن الكيان النفسي للشخصيات"[2] فلا غرابة أن تُسمّى قصص تيار الوعي بالقصص الزمنيّة " وممّا لا شكّ فيه أنّ "الزّمن" هو أهم ما تعنى به هذه القصص" [3]، نظراً لطبيعة الذهن القائمة على عدم تقيده بحدود الزمن الفيزيائي، والتلاعب بحدوده، وتغيّر مداه، فالترابطات الضعيفة بنحو طبيعي، جعلت السّلاسل الزمنيّة تبدو مشّوشة دوماً، وخارجة عن النّظام. "فالساعة المصنوعة تقيس السّاعات الزّمنية بانتظام مستمر، أمّا الوعي فإنّه أحياناً يجعل الساعة الواحدة تبدو وكأنّها يوم كامل، أمّا اليوم يبدو وكأنّه ساعة. وهكذا يختلط في الذّهن الماضي والحاضر"[4]

فالذّهن إذن يبسط الوجه الآخر للزمن، وذلك تبعاً لمضمون خفيّ، ومن هنا تبدو الانقطاعات الزّمنيّة الّتي تسم "تيار الوعي" وسيلة لتحريك الأحداث والشخصيات، وتقديمها ضمن علاقات تبدو في بعض الأحيان غامضة ومعقّدة، ولكنّها كاشفة، تسهم في استنطاق المخفيّ، وتستدعيه وفق اتجاهات متنوعة، وهي بذلك تسهم في فهم أعماق الذات، والتقاط المنطق الذي تتحرك ضمنه.

---

[1]– سمير الحاج شاهين. *لحظة الأبدية دراسة الزمان في أدب القرن العشرين* . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980) ص 165.

[2]– روبرت همفري. *تيار الوعي في الرواية الحديثة* . تر: محمد الربيعي، (القاهرة: دار غريب، 2000)، ص 27.

[3]– ليون إيدل. *القصة السيكولوجية* ، دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة. تر محمود السمرة (بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، 1959) ص 211.

[4]– ليون إيدل. المرجع السابق، ص 58.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في سعيه إلى توضيح امتزاج الزّمن والذات، وفق مستويات متنوعة تشمل الماضي والحاضر والمستقبل.

فعندما يعرض تيار الوعي أفكار الإنسان نابضة حيّة، فإنّه يعبّر عمّا يشغل الفكر في اللحظة الراهنة، ويبرهن على الوجود المستمر لتلك اللحظة " على شكل حاضر سرمدي"[1]، وهو من خلال ذلك، إنّما "يسعى إلى تجسيد لحظة الحاضر الزمنية" وتأسيسها بشكل تندمج فيه أبعاد الزمن كلّها، من أجل تكوين الزّمن النفسي"[2].

وكذلك عندما يستعرض محطات الذاكرة فإنّه يحطّم التّرابط المتسلسل للزّمن، وهو في ذلك كلّه إنمّا يعبر عن الذّات البشريّة، وقد تحولت إلى شبكة معقدة تستقطب ذبذبات الزمن إلى ما لا نهاية.

وتأسيساً على ذلك، يكمن هدف البحث في توضيح اتصال الزمن بالنفس، وإبرازه كمقولة ذاتيّة، وأداة معرفيّة، يتوصل من خلاله إلى اكتشاف الذات.

أمّا التّوقف عند المحطّات البارزة فيتم من خلاله الوصول إلى فضاءات أكثر رحابة، تتجاوز نطاق الذات الضيق، ليصل إلى التكوين الاجتماعيّ والنفسيّ لمجتمع بأكمله.

وهو في ذلك كلّه إنّما يسعى إلى توضيح هذا المفهوم الإقيانوسي الواسع للنفس البشريّة.

منهجية البحث:

إنّ تقديم "تيار الوعي" للعالم الداخلي للإنسان، وما يختزنه من شحنات نفسية، وتصورات تعكس الوعي في تداعياته المختلفة، جعل المنهج النفسي من أكثر المناهج قدرة على تقديم فهم مختلف لقصة " تيار الوعي".

النتائج والمناقشة:

إنّ تركيز "تيار الوعي" على الحياة الباطنيّة للإنسان، قد كشف عن مستويات مختلفة من هذا الامتزاج للأزمنة، لعلّ أولها:

1 -<u>الزمن المختزن في الذاكرة:</u>

إنّ للذكرى علاقة وطيدة بالزّمن، ذلك أن " الكائن الذي لا ذاكرة له لن يمتلك أبداً أن يكون لديه مفهوم عن الزّمن"[3] ، وهنا يبرز دور الذاكرة الجوهري في إدراك أبعاد الزّمن، ولأنّ الذاكرة تشكل الطريقة الوحيدة التي تضمن إعادة الماضي مرة أخرى إلى الحياة، فإنّها بذلك تلعب دوراً أساساً في تفتيت الزمن، وفي تكوين رؤية ذاتيّة عنه، وعلى هذا النحو تصبح الذاكرة أداة بناء واستحضار للماضي القريب والبعيد، على حدٍ سواء .

---

[1] – **ليون إيدل. المرجع السابق، ص 217.**

[2] – **فاتح عبد السلام. " *الحوار الداخلي وتيار الوعي في بناء الفن القصصي* ". المعرفة 412. (كانون الثاني 1998)، ص 217.**

[3] – **جان ميتري. *علم نفس وعلم جمال السينما. تر: عبد السلام عويشق، (دمشق: وزارة الثقافة، 2000)*، ص 442.**

فوراء أفعال الحاضر يختبئ ماضٍ، من المفترض أنّه انقضى، ولكنّ الذاكرة تعيده بفعل عوامل متنوعة لعلّ أبرزهاً: التأثيرات الخارجية، وما تلعبه من دور بارز في تحفيز الذاكرة، وفي إطلاق سيل الأفكار الداخلية، كما في قصّة "الأرواح الممسوخة" لأنيسة عبود؛إذ تعود الذكرى متألقة، بفعل عوامل خارجية عديدة، فالأرض المنبسطة، والحقول المترامية، قد أيقظت في الدّاخل الصّفاء والشّفافيّة، ممّا جعل الذّات تستغرق في أفكارها: " أمسكت بيدي. عانقتني. عند ذلك شعرت أنّي أعاني وهماً قاتلاً ها هي نجلا بين ذراعيّ امرأة شهيّة. وها أنا ألتهم شفتيها. يومئذٍ عدت إلى المنزل.... وقفت أمام أبي بقوة ما بك يا ولد، أنا رجل.. رجل غصباً عن الجميع.

لي تقول هذا؟

تناول عصاه . أخذ يركض ورائي . أمسك بي على تخوم النّهر . صفعني . ثم ربطني إلى شجرة المشمش القريبة. مرّت نجلا لم أنظر إليها. نادتني لم أرد. بعد أسبوع علمت أنّها خطبت، فعدت قزماً من جديد"[1].

إنّ الزهو بالنّفس الذي استشعرهالشّاب الصّغير، إزاء أوّل تجربة حبّ ما لبث أن تلاشى، في عمليّة تحطيم مؤلمة للأنا من قبل الأب. إنّ عجز الشّاب في ذلك الوقت عن التصدي لقدرة الأب المطلقة، قد فجّر عنده عقدة الدونيّة، تلك العقدة التي استحكمت به، ليست وليدة هذا الموقف فقط، بل وليدة مرحلة عمريّة أصغر، تتداعى إلى ذهنه، فتجربة الحبّ الأوّلى ونهايتها المؤلمة، ليس المحطّة المؤلمة الوحيدة في حياتي، بل هناك محطات، وفي كل محطّة يلعب الأب الدور الأبرز، إذا على يديه تولد أنا جديدة.

ومن هذا المنطلق " تغدو الذكرى في الذاكرة مسافة أخلقها في داخل نفسي، بالنسبة لنفسي أنا، تتيح لي أن أقارن نفسي إزاء نفسي، وأن أقيم رابطة، وصلة وصل بين أحوال مختلفة لكياني الذاتي"[2].

إلّا أنّ الأمر لا يقتصر على هذا فقط، بل يتم استحضار أحداث متحررة من أية قيّود، الأمر الذي حفّز استدعاء ما له القدرة على إثارة هذا الطّيف الواسع من الذّكريات، التي طمرت بفعل مرور الزّمن، ولكنّها تعود من جديد تحت تأثير الانطباعات الخارجيّة.

فارتباط الحقل بالأب، قد جعل الذّهن يستدعي صورة الأب، ما يرافق هذه الصّورة من ذكريات تركت أثرها في حياة الشخصيّة:

" أريد حذاءً للمدرسة يا أبي

–اذهب بالشحاطة

–لكن الطريق موحلة

وماذا لو دعست به؟ تصغر قامتك؟!.

لقد أدرك فعلاُ بحسّه الفطريّ معنى أن أذهب إلى المدرسة شتاءً بالشحاطة كانت قامتي تصغر عندما ينظر إليّ الزملاء والأساتذة، فكنت أنكمش وأتقزّم لدرجة أنّي لا أظهر في الصّف"[3].

إنّ العجز عن حلّ المشكلة، دفع الذّات إلى أن تسلك سلوكاً دفاعيّاً، تتجنّب من خلاله نظرات الاستهزاء، التي عصفت بها واقتلعتها من جذورها، فكان سلوك التّخفي، كحلّ بديل عن مواجهة خاسرة مع الآخرين، لقد تمكنت أنا الطفل، في ذلك الوقت من تحوير المشكلة ومعالجتها، ولكنّ علاجها لم يكن ناجعاً، فقد نتج " عن اختلال التّوازن

---

[1]– **أنيسة عبود. *تفاصيل أخرى للعشق*. (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999)، ص 97.**

[2]– **جان ميتري. *المرجع السابق*، ص 451.**

[3]– **أنيسة عبود. *تفاصيل أخرى للعشق*. ص 96.**

الوجوديّ، وانعدام تحقيق الذّات حالة مفرطة من التّوتر والقلق وانعدام الاعتبار الذاتي "[1] ، وما سلوك التخفي ذلك إلّا محاولة لمحو الذات، وسحقها، وعدم الاعتراف بها، فإذا كانت الذات لا تعترف بوجودها، فكيف لها أن تنتزع اعتراف الآخرين بها؟ أمام هذه الطّريقة من إنكار الذات لا يسع الطفل إلاّ أن يتقوقع على نفسه منسحباً، يمعن المنولوج الداخليّ المباشر في تفصيل هذه الذكرى الأليمة من خلال رفدها بأفكار أخرى تقترب منها، وتصبح داعمة ومؤكّدة لها، فيكون حاصل ذلك نقلات في الزّمن، وكلّ فكرة تستدعي الفكرة التي تليها، في زمنها المناسب، معلّلة ما تخفي وراءها من تضخم، تكشف معالمه قتامة التهيؤات، ولا معقوليتها:

"يناديني الأستاذ: أين أنت يا محمّد..

" أنا هنا يا أستاذ

لكنّهم لم يكونوا يلمحونني إلّا لمحاً بارقاً، فأطلقوا عليّ اسم محمد المخفيّ، دائماً كان هذا الشعور يعذبني لدرجة كنت أقف أمام المرآة كي أتأكد من حقيقة الأمر"[2].

يؤدي الإحساس بالتّقزّم دوره في التّدليل على قساوة التّحوّل وعنفه، فالانتقال من حال إلى حال، من حال القوّة الفطريّة إلى الضّعف، من الثّقة بالنّفس إلى انعدام الثّقة قد كشفته الذّكريات، الّتي تعود برمتها إلى مرحلة الطفولة، والّتي وضّحت عمق الهزّة التي تعرضت لها الأنا، في مرحلة حرجة من مراحل النّمو، وامتلاك الذّات، فإرغام الطّفل على فعل ما لا يريد أمام الآخرين، قد أورثه سلوكاً قلقاً، غير متوازن، بقي يرافقه طوال حياته وذلك، " نظراً إلى قلّة نصيب الطفل من الاستقلال، فإنّ الراشدين الكبار يمكنهم بحسب مشيئتهم أن ييسروا أو يخنقوا لديه تكوين عصاب" [3]إنّ الاستغراق في الذّكريات الّتي كشفها المنولوج الداخليّ المباشر، قد أوضّح دور الأب المركزي في حياة الابن، فالأب الذي هو رمز الأمن والحماية، وبوصفه القائد المتفرّدفي قيادة الأسرة، يبدو هنا صاحب سلطة مطلقة، وحضور طاغٍ، فهو بذلك يجمع النقيضين، فهو من جهة سبب الوجود، و "هو الخصوبة التي توفّر البقاء والاستمرار، وهو الماء والمرعى" [4]، ولكنّه من جهة أخرى سبب الموت على المستوى المعنوي، لأنه " أداة قمع وتدجين، أو طريقة حماية وتنظيم، فإنّه بذلك يتشارك مع السّلاح وأدوات القتل" [5]. يستخدم الأب كلا السلاحين، في سبيل امتلاك الأبناء، والتحكم بهم وفق ما يريد، وبذلك يمكن القول: إنّ حضور الأب قد سهّل على الابن مهمة توصيف حالته، وردّ ما يعانيه إلى السبب الحقيقيّ، ولكنّ ذلك لم يكن ليساعد على حلّ العقدة المستحكمة في حياته، والّتي وجد نفسه رهينةً لها، حتى بعد أن تجاوز عمره الخمسين.

ومن هنا يتجلى "دور المنولوج الدّاخليّ في أنّه يلغي المسافة بين زمن الأحداث، وزمن روايتها، وهو بذلك يسمح للبطل بالرّجوع إلى الوراء، محطّماً بذلك التوقيت الزمني المتعارف، وإذ تتحطم الفواصل الزمنيّة يصبح بإمكان الذكريات أن تطفو على السّطح، وتكتسب حضوراً كاملاً في اللحظة الحاضرة[6].

وقصّة " يا دمشق" لغادة السّمّان، لا تخرج عن ذلك، فانفتاح الزمن على الماضي يزيد من حدّة استغراق الذات في عالمها الماضي الخاصّ، وفي خلقها وجوداً جديداً، في مقابل الوجود الرّاهن، بما فيه من قلق وكآبة.

---

[1] – **مصطفى حجازي.** ***التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور*** **. (لبنان: معهد الإنماء العربي، ط4، 1986) ، ص 98**

[2] – **أنيسة عبود. المصدر السابق. ص 97**

[3] – **آنا فرويد.** ***الأنا وأواليات الدّفاع.*** **(بيروت: دار الطليعة، ط1، 1983)، ص 96.**

[4] – **علي زيعور.** ***الأحلام والرموز*** **. (بيروت: دار المناهل، ط1، 2002)، ص 149.**

[5] – **علي زيعور. المرجع السابق، ص 148.**

[6] – **ينظر عبد العزيز شبيل.** ***الفن الروائي عند غادة السمّان*** **.(تونس: دار المعارف ، ط1، 1987)، ص 175.**

يتم تعطيل الزّمن الرّاهن وتوجيهه نحو الزّمن الآخر، هذا التّحوّل من الحاضر إلى الماضي يفترض تحوّلاً نفسيّاً موازياً، وبناء على ذلك يحدث التّبادل بين الزّمنين الماضي والحاضر، ويتم العبور من أحدهما إلى الآخر، ثمّ العودة مجدداً في عملية تبادل لا تنتهي:

" أترك الشريط على المنضدة. أهرب من الغرفة، سأعاود البحث عن أكرم رفيق نضالي، رفيق ضياعي.

من جديد أعوم في بحر الضّباب، أحسّه ينبع من رأسي ، من أفكاريّ المشوّشة المشتتة... من ضياعي وحيرتي وانفصالي الحادّ عن أية مجموعة بشريّة.

" أين عيناك يا سوسن؟ صافيتان بلا ضباب، كان يضايقني صفاؤهما ووضوحهما!!... أين انضمامك الحاسم إلى كياني، تأكلين حينما أجوع تئنين ألماً حينما أمسك بحبات "الأسبرو" وأتهيأ لابتلاعها وتهمسين:

رأسك يؤلمني يا حسّان"...

فلأستقلّ "الباص" سألتقي بعدد من الناس مضطرين للارتباط في محطة واحدة على الأقلّ.

قاطعة التذاكر العجوز تتناول النقود منّي وتدير آلتها القاطعة الصغير... الإعياء بادٍ على شيخوختها التي لم يرحمها العمل. تشبه أمي، لا ريب في أنّها أمّ لشاب أو لفتاة ما، كيف يتركانها تعمل هكذا؟ وبما كانت أمّ سوزان وسوزان كما قالت لا تتصل بأهلها ربما خلال شهر أو أكثر... لو سقطت الآن ميته لحملوها إلى المسلخ ريثما يسأل عنها شخص ما....."[1].

تنساب الأفكار متنقّلة من محطّة إلى أخرى، فانشغال الشّاب بالبحث عن رفيق نضاله، وتوارد الخواطر والهواجس المقلقة، تزيد من حضور لحظات الماضي التي تنسج الذات منه وجوداً جديداً، يتيح لها أن تحيا زمنها الداخليّ الخاصّ، وهذا ما يجعل للزّمن حضوره النابض بعالم الدّاخل، ولا يخفى ما لذلك من رغبة في استعادة الزّمن الأوّل، كملاذ يبعد الذات عن منغصّات الواقع الرّاهن، وتجاه هذا الشعور، يبدو الرحيل نحو الماضي متسقاً مع الرّغبة في التّخلص من الكابوس، وإشباعاً لمشاعر الحبّ والتآلف، وإغناءً لعالم الروح، ولكنّ ذلك لا يخلو من مخاطر، فإزاء هذا الإشباع الوهميّ، هناك إحساس عارم بشدة الفقد، وضياع الألفة، تمضي الذّات لحظاتها متأرجحة بين الإشباع الوهميّ، والخواء الواقعيّ المفروض عليها، لتغدو ذاتاً مشتتة، تعيش عالماً قاتماً من الألم المتواصل، بعد أن فشلت أواليات دفاعها المزعومة كلّها، في التصدي لهذا الكم من الفراغ الناجم عن انقطاع التّواصل مع الآخر، بفعل عوامل مختلفة لعلّ أبرزها التكوين الاجتماعيّ والنفسيّ، وفي كلّ مرّة تحاول الذات أن تجتاز هذا السّد المنيع، لتندمج بالعالم تصاب بفشل ذريع، الأمر الذي يضاعف من هاجس البحث عن (أكرم)، فمعه تحقق تواصلها مع الآخر، ومعه تعيش النحن،وتستعيد زمنها الماضي. وبذلك يمكن القول إنّ "الذكرى ليست تكراراً، ولا هي تذكّر شيء محتفظ به مجدداً، مستدعاة للذهن قصداً أو مصادفة، إنّها إعادة تنظيم للماضي خاضعاً لتوجه ذي طابع على وجه العموم عاطفي" [2]، ومن هنا، فانكشاف الدّاخل العاطفيّ على الزّمن الماضي، زمن السعادة، يعمّق الإحساس بالألم والخواء والقلق، ويرفد الذّهن بعاصفة من الأفكار.

وبذلك يمكن القول: إذا كانت الانطباعات الخارجيّة، قد حفزّت سيل الذكريات فيما سبق، فإن تقنية " **المرآة**" تشكّل هي الأخرى أداة طيعة، تسهم في إخراج الأفكار الدّاخليّة، والذكريات الغائصة في أعماق الذّات إلى الخارج، كما في قصّة (المرآة) لأنيسة عبود، فمن خلال المرآة ، تستعرض الأنا محطات الزّمن الماضي، محطّمة بذلك الزمن

---

[1] – **غادة السمان. *ليل الغرباء*. (بيروت: دار الآداب، ط3، 1975)، ص 118–119**

[2] **جان متيري. علم *نفس وعلم جمال السينما* ، ص 444.**

الواقعيّ. غائصة في أعماق الزّمن الماضي، الذي ينكشف أمامها شيئاً فشيئاً، فالمرآة التي تشكّل رمزاً " لصورة الذّهن والخيال، تكشف من خلال الدّخول فيها عن وجوه الإنسان الغائبة، أوغير الظاهرة المتمثلة في ذهنه، والتي تعبّر عن حقيقته، فالصّورة الظّاهرة للمرء ليست إلّا قناعة، أمّا الحقيقة فتكمن في داخله، في الوجوه غير المرئيّة، الدّخول في المرايا هو الذي يكشف عن تلك الوجوه والصور الحقيقيّة" [1]. فالذكريات تبقى في عالمها الخاص، وبمنأى عن العالم الخارجيّ، تتحينالوقت المناسب للخروج والظهور مرةّ أخرى، تساعد المرآة على ظهور تلك الصّور القديمة إلى العلن بوضوحٍ تام، الأمر الذي يربك الذّات، ويجعلها تفشل في مواجهتها، أو التحصن ضدها، تمتلك المرآة قدرة ليس على عكس الصورة الخارجيّة فقط، وإنّما على عكس الصّور الكامنة في الذّهن، ومنحها بعداً بصرياً، ينقل أفكار الفتاة من زمن إلى آخر، وكلّ زمن يرتبط بالزّمن الذي يسبقه برباطٍ واهٍ:

"الوجه الذي في المرأة بدأ يكبر رداءه طريق طويل... طويل ممتد إلى البحر ومن بين الوجوه والطرقات رأيت وجه أمي ووجه أبي، قلت: لقد مات أبي منذ مدّة طويلة فما الذي أعاده إلى هنا الآن...؟... كان إخوتي وراءه يصرخون وطنجرة من الفخار تتنهد على النّار.... بينما أختي تحشو صدر تنوّر بالحطب اليابس....أسمع ثغاء غنم بعيد، وهشام ابن الجيران الذي جاء يستعير قلماً مني.... كان كل يوم يختلق قصّة القلم كي يأتي إلينا:

" أكره هشام يا أمي"

" لماذا ... إنه شاب ممتاز"

"لست أدري... أشعر أنّه بائس جداً... كنت يومها أودّ أن أقول لها إنّه لا يعرف كيف يغازلني... ولا يعرف كيف يبدأ بالقول "صباح الخير" يتلعثم ويشرد ويتنهد... ثم... ثم.. ثم... إن شكله لا يعجبني[2]".

يأخذ الزّمن بعداً أعمق هنا. من خلال تداخله مع الشخصيات التي تسكن الماضي، ممّا جعل الماضي يستبد بالحاضر ويحتله ويؤثر فيه، فالماضي ولأنّه الأسبق في الحدوث يترك أثره في الذات، بطريقة تجعله عالقاً في الأعماق، من الصّعب الانفكاك منه، الأمر الذي يدفع الفتاة إلى الاستسلام له، وممّا يزيد من سرعة هذا الاستسلام انقطاع الصّلة بالعالم الخارجيّ، وتدفّق الصّور والشخصيات والمواقف الماضية في تتابع مستمر،فالطّريق الذي سلكته التداعيات هنا يعود إلى مرحلة المراهقة، في تلك المرحلة بدأت حفزاتها الغريزيّة ترى النّور، ولكنّها لم تجرؤ يوماً على التّعبير عنها، بفعل المكبوتات الممارسة عليها من قبل الأسرة والمجتمع، فهي فتاة لا ينبغي عليها أن تكون فوضويّة، وكذلك من العار أن تضحك أمام الأخرين، وبذلك قد سُدّت جميع الثغرات التي من الممكن أن يتسرب من خلالها أي ميل للإفصاح عن رغباتها، التي يجب أن تظلّ مكبوتة، فـ" الممنوعات التي تفرض على جسد المرأة دينياً ومدنياً أشهر من أن تعرف. قانون المجتمع في أشد وجوهه قمعاً، منقوش منذ الطفولة على جسد المرأة، في حركيّة هذا الجسد، وتعبيراته ورغباته. جسد المرأة المختزل إلى بُعده الجنسي، هو عورة يجب أن تستتر وتصان وتحمى" [3]. وللحفاظ على ذلك وضمان تحقيقه، تمعن الأسرة في السحق المستمر للأنا الداخلي للأنثى وقمعه وتكسيره، لا تمتلك الفتاة إزاء هذه الممارسات إلّا أن تستشعر حزناً شفيفاً يغلف روحها، ولكنّها لا تدرك سببه.

لقد أخرجت المرآة صورة الماضي الذي يعذبها، متيحة بذلك بلوغ الحياة الدّاخليّة المظلمة، وفي تخطي حدود المكبوت، فهي لا ترغب بهشام لأنّه لم يحسسها بأنوثتها، ولكنّها لم تجرؤ يوماً على قول ذلك إلّا الآن وأمام المرآة.

---

[1] – **ولات محمد. *دلالات النص الأخر في عالم جبرا ابراهيم جبرا الروائي.* (دمشق: وزارة الثقافة، 2007) ص218.**

[2] – **أنيسة عبود. *غسق الأكاسيا*، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1996) ، ص 81–82.**

[3] – **مصطفى حجازي. *المرجع السابق*، ص 224.**

أمّا التّمظهر الآخر الذي بدا غريباً، وغير معقول فهو صورة الأب الميت، فالبنت ليس لديها أدنى شك بموت أبيها، أمّا الأمّ فتنكر ذلك أشدّ الإنكار، وتستغربه أيضاً، ولعلّما أرادت الفتاة إفهامه للأمّ، هو أنّها تخلّصت من سلطة الأب، تلك السلطة القامعة، ومن تأثيرها عليها منذ زمن طويل، لقد مات الأب فعلياً من أعماقها، إنّ الموت المقدّم هنا، قد أفسح المجال للرغبة المكبوتة بالظهور، ولأوّل مرّة إلى العلن وبحضور الأمّ، وبذلك يمكن القول: " إنّ كلّ علاقة وجدانيّة حميمة، متفاوتة الديمومة بين شخصين –علاقة زوجيّة ، صداقة ، علاقات بين الأهل والأولاد – تترك رسالة من المشاعر العدائيّة، أو على الأقل اللاوديّة، لا سبيل من التخلص منها إلاّ بكبتها"[1].

وإذ تحاول القّصة أن ترسم الماضي، في حركيته المستمرة داخل الذات، وفعله الدّائم في الأعماق، ليس لمجرد عرض محطات الألم فقط، وإنّما من أجل الكشف عن سرّ هذا الألم ومعرفته، ومن ثمّ تجاوزه والتخلص من آثاره وفي ذلك مرحلة من مراحل بناء الذات، وتخطي العقبات التي تقف في طريقها.

وتأسيساً على ما سبق يمكن القول: إنّ الزّمن الماضي، الذي يعود إلى الذهن من خلال الذكريات، يغني "تيار الوعي" ويمنحه هذا التتابع المستمر للأفكار، ممّا يتيح الفرصة للمخفيّ تحت ركام الزمن من الظّهور من جديد على سطح الوعي.

ولكنّ الأمر لا يقتصر على ذلك، فمثلما ينفتح "تيار الوعي" على الماضي، ينفتح على الحاضر، وكذلك على المستقبل، كما سنجد ذلك في المناقشة التالية.

الزمن الحاضر:

تفرض طبيعة الذّهن القائمة على الاسترسال في الأفكار، والاستغراق في التأمل، التعامل مع الزمن الحاضر، وعلى الرّغم من أنّ لحظة الحاضر، هي لحظة قصيرة، وبرزخ يصل بين زمني الماضي والمستقبل، فإنّ تجددها المستمر، وتدفقها يفرضان على الوعي منطقاً خاصاً، فمن خلالها يشعر الإنسان أنّه يحيا، فهي اللحظة الوحيدة التي تحتويه، وتمنحه الوجود الحقيقي، فلا غرابة أن يعلن بعض الفلاسفة أنّ "أصل الزمان هو الآن، والآن يقصد به الآن الدائم، أي أبداً" [2]. وبذلك تتحول لحظة الحاضر إلى عنصر بنائي، له موقعه في حياة الإنسان بشكل عام، وفي قصصه بشكل خاص، ولا سيما في "تيار الوعي" ، ومن جهة أخرى، يمثل تفكير الإنسان بلحظة الحاضر حيّزاً كبيراً، من الأفكار التي تراوده.

ومن هنا فالماضي المستدعى إلى الذّهن، إنّما يُستدعى لخدمة الحاضر، أمّا التّفكير في المستقبل فيجعل لحظة الحاضر غاية في الأهميّة، إذ يحوّلها إلى لحظة مؤسسة يُبنى عليها. وعلى هذا النحو رصد "تيار الوعي" عمق العلاقة بين الزّمن الحاضر، والأفكار المتتابعة التي تراود الذهن، وأبرز صعوبة المتغيرات التي تقع الذات تحت تأثيرها، محولاً الحاضر إلى لحظة أشبه بلحظة المخاض.

يظهر ذلك في قصّة "المواء" لغادة السمان، إذ تسيطر معطيات الزمن الحاضر على الوعي، وتلح عليه، وهو بذلك يكوّن الزّاد الذي يجعل الأفكار تتوهج داخل الذّهن، الأمر الذي يجعل الفتاة أكثر حزناً وكآبة، فالتناقض الحاد بين الزمانين: الماضي والحاضر، بين امتلاء الذات بالحبّ في الماضي وخلّوها منه الآن، يجعل الفتاة تستغرق في الحاضر، مستدعية صورة من تحب، متوحدة معها، كاشفة بذلك عن تعاسة اللحظة الحاضرة:

---

[1]– **سيمغوند فرويد. *علم النفس الجمعي وتحليل الأنا*، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 1979)، ص 52.**

[2]– **عبد الرحمن بدوي. *الزمان الوجودي*. (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1973)، ص 257.**

"التفت إليك مستنجدة. كنت وحدي في الغرفة... منذ عشرة أيام وأنا التفت إليك، ولا أجدك. لعلك الآن هناك، بين جدران مرسمك العارية، تستلقي تحت صدر العتمة في شرفتك العالية، وفي الركن لوحة ما لم تتم بعد"[1].

ولكنّ الأمر لا يقف عند الزمن الحاضر فقط، وإنّما يؤسس لزمن آخر، ينتمي إلى الذكرى، إنّه زمن مختفٍ، غائب، ولكنّ قسوة الحياة الرّاهنة وغرابتها تستدعيه وتفرضه كوجود واقع، ومن جرّاء ذلك يتناوب الحاضر والماضي على الذّهن. " هذا الليل المشوّه كم أكرهه. هذا الليل المجهض، أين اللّيل الحقيقيّ في شواطئ بيروت. وأنت (والسيارة تشق صدر العتمة حتى وصلنا إلى الميناء وأشباح السّفن في الليل تلتمع بأضوائها المتناثرة. تبدو البعيدة خيوطاً من نور. قلت لي: هل رأيت الميناء في الليل؟ لم أجبك لم أقل لك إنّني رأيت كل شيء قبل أن ألتقي بك. ولكن كل شيء يبدو الآن جديداً، كأنّ عالمك ما كان قطّ لسواك كأنّ الثلج الذي أندفه في دربك جديد ناصع لم تطأه قدم سواك من قبل"[2].

إنّ الدّخول في العالم الحواري للذات، يكشف هذا التنوع الهائل في حضور الأزمنة داخلها، ثمّ يسهم في لمّ شتاتها، وتنشيط أفكارها الخاصة، من خلال قطع علاقتها بالعالم الذي يحيط بها، ولا سيما أنّ هذا العالم يبدو غريباً وقاسياً.

ولكن لا يلبث الزّمن الحاضر أن يعود مجدداً، بعد أن مرّ بمرحلة كمون أتاحت للأنا فرصة بناء ذاتها من جديد، فتصير على هذا النحو أقدر على التقاط موجودات العالم الخارجي، والتأمّل فيها، يوضح المنولوج الداخلي المباشر صراع الذات مع الزمن الراهن، ورغبتها في إقصائه، حرصاً منها على المحافظة على نقاء الماضي، وما فيه من حرارة الحبّ، وطهر المشاعر وصدقها، ولكنّها تدرك صعوبة ذلك، إنّها تقاوم وتتحدى، ولكنّها تسقط في النهاية، وتغيب ملامح الماضي، وما تحتويه من ذكريات، ليبرز ألم الحاضر.

"من مسامي يتفجر العرق والنحيب والمرارة، لكنّني لن أهزم، لن أنسحب إلى التابوت. أتلوى، أحاول أن أقطع قيوداً لا مرئية، أرقص أحاول أن أحطّم جداراً، أن أجتاز جسراً جئت من طرفه المغمور بالغمام، وأتجه إلى طرفه المغموس بالدّم والمواء وقرع المطارق.

تنتهي الرقصة. أعود إلى التابوت وأجلس عليه، يخيل إليّ أن المرأة في داخله تقهقه، تثير جنون موائي... وأحس بأنني أحقد عليها.. "جولييت" عصر الذرة... أراها خلال خشب التابوت. لها وجهي. لكنها تبكي، وأنا هنا امرأة خرجت للتو من مصنع البشر الآليين، وجاءت إلى مخزن الحبّ لتشتري علبة معبأة بالجنس، تطهيها بسرعة، وتلتهمها، ثم تمسح آثار المائدة، وينسى ما كان في أقلّ من ليلة.

دزدرا تهزني: لماذا لا ترقصين؟

ولم أعجب بأيّ شاب بعد لأدعوه إلى الرقص"[3].

إنّ ذلك يفصح عن أزمة الذات، التي تسعى إلى التوفيق بين مطالب الدّاخل والواقع الذي يفرضه العالم الخارجيّ، فالأفكار الّتي تراودها تبذل نشاطاً ذهنيّاً لتحقيق ذلك؛ لذلك فهي أفكار تدور بمجملها حول الزّمن الحاضر، وكيفية تنظيمه. إنّ رغبتها في الحصول على الطمأنينة، يدفعها إلى تغير طريقة عيشها، وبعد ذلك إلى تقبّل طريقة حياة

---

[1]– غادة السمان. *ليل الغرباء* (بيروت: دار الآداب، ط3، 1975) ص24.

[2]غادة السمان. المصدر السابق. ص 33.

[3]– غادة السمان. المصدر السابق. ص37.

جديدة، تحافظ من خلالها على ذاتها، لتغدو الأفكار الرّاهنة الّتي تدور بخلدها أفكاراً مؤسسة لحياة أخرى، تتجانس من خلالها مع الحاضر، والأشخاص القابعين فيه.

أما في قصة "الركض في سرداب" فالأفكار الرّاهنة التي تراود الذّهن، تفشل في منح الذّات القدرة على تقبّل الحاضر، أو التّأقلم معه، ربما لأن الخيالات المتداعية تمعن في رسم ملامح الحاضر الرّاهن، استناداً إلى الماضي الذي انقضى، وانسجاماً معه:

" مؤكّد أنّ أمي تنصت إلى صوت النّهر المزمجر في الأيّام العاصفة، تظنني أجتازه الآن. سوف ترتعش في مكانها. وسوف ترفع رأسها وتبتهل إلى الله أن أجتاز الفيضان. كأنّي بها الآن تنظر إلى الباب الخشبي الثّقيل المصنوع من خشب الدلب. ها هي تنظر أن أقرع الباب، أو أفتحه فجأة وأهرع لعناقها. لضمّها وقد أضحت صغيرة الحجم.. لينة الجسد... منكمشة كعصفور بلّله المطر.. إيه يا أمي... ويمسح دمعة غاصت في شاربيه"[1].

تنتقل الأفكار تبعاً لتداعيات اللحظة الحاضرة الّتي تصوغ الخيالات والذكريات، رغبة منها في إشباع حاجة الذات، للاحتفاظ بصورة الأمّ نقيّة يانعة، لتكون مصدراً للطمأنينّة، وحاضراً تلوذ به وتحتميمن قسوة الغربة والوحدة المؤلمة، " ولكن كل حاضر يتعايش مع ماضٍ ومع مستقبل. ومن دونهما لن يمضي هو ذاته" [2]. وتأسيساً على ذلك، لا يمكن تجاهل دور الانطباعات الحاضرة، في تحفيز صورة الماضي، وإعادتها إلى الذهن مرّة أخرى.

فالفتاة الراهنة التي تطلب الجلوس بقربه تستدعي إلى ذهنه صورة فتاة أخرى تنتمي إلى الماضي، الأمر الذي يجعل الذات تقع مجدداً تحت استبداد مشاعر الغضب العارم، الذي تجدّد بفعل تجدّد الموضوع الذي أثاره، تحاول الذات كبت هذه المشاعر والسيطرة عليها، الأمر الذي يرفع من حدّة التوتر، ومن وتيرة الأفكار المتدفقة:

" فتاة تتقدّم بين الجموع... لا يعيرها أيّ انتباه.

أتسمح بالجلوس إلى طاولتك؟....

نظر إلى الفتاة بفضول. داعب سيجارته ولم يقل شيئاً. دون تردد جلست السيدة. نظرت إلى وجهه. حركت شفتيها. ولكن لم تقل أي كلمة. " وجهها يشبه وجه ابنة السيد الذي قتل والده. السيد البيك.. تمنّى لو يصفعها" كان المقهى يدور في عينيه. كانت الجدران تنغرس في جسده وتنسرب آلامه متقصفة كالليل العاصف. " لو يصفعها" إذن لضمّ البحر إلى صدره. أو جرّ النّهر ليتفيأ معه تحت شجرة " الميس" التي تجمع كلّ الظلال وتحضن كل نسمات القرية لتجفف عرق المتعبين"[3].

هذا التحويل يسهم في زجّه مرّة أخرى في هجير الماضي، أيّام كان طفلاً صغيراً، لا حول له ولا قوّة، تتأجج لديه مشاعر العداء، لتصل إلى درجة الرّغبة في تدمير الآخر، من خلال الرّغبة في صفع الفتاة، لأنّها تغدو الحامل للظلم والممثل له، في عملية تحويل ذهنيّة معقدة، وخاصة بمنطق الشخصيّة، وظروف حياتها.

وممّا يقويّ من سلطة الأفكار المتداعيّة، أن الشّاب ينحي ويعزل المناظر المحيطة به كلّها، فلا يشعر إلّا بقرع أفكاره، التي تستعرض محطّات الألم والظلم، بالقدر الذي يشبع ذاته بمشاعر العداء، فـ " الغضب والحنق والحقد هي مشاعر إنسانيّة محضة، تشكّل التّرجمة النّفسيّة للعدوانيّة الشائعة عند مختلف الكائنات الحيّة، والتي تتحرك بإزاء

---

[1]– أنيسة عبود. *حين تنزع الأقنعة*. (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1991)، ص130.

[2]– جيل دولوز. *الصورة الزمن*. تر: حسن عودة، (دمشق: وزارة الثقافة، 1999)، ص 53.

[3]– أنيسة عبود. *المصدر السابق*. ص 132.

التّهديدات المختلفة" [1]. فأمام احتقار الطّرف الآخر متمثلاً بالسلطة، وأمام تبخيس القيمة، لا يسع الذّات إلّا أن تنفض لرد الحيف والظّلم الواقع عليها، يغدو التّفوق العلميّ سلاحاً مكمّلاً للشخصيّة تجابه به هذا التّحقير، وتعوّض عن فقدان القوّة، ولكنّ ردة فعل الطّرف الآخر يكون بالإمعان بالتبخيس والطمس، والإلغاء، لتقع الذّات تحت وطأة التهديد الوجودي، والاعتداء الساحق على كيانها. " هه والله... عال... أولاد – مرابعينا – يتعلمون ويصيرون مثلنا ثمّ إذا تعلّم محمود.. وعلي.. وعمر.. و.. و... فمن يعمل في الأرض ... من يحمي حقول القرية من يرعى المواشي؟ تعالوا وصيروا كلكم أسياد.. هه" [2]

فالأنا الذي يمعن التوغل في هذا الاتجاه، إنّما يدمج السلطات التي آلمته في الماضي وأهانته وظلمته ويتمثلها معيداً إياها إلى الحياة من جديد، وبذلك يصبح قادراً على أن ينتقم لنفسه منها، وفي الوقت ذاته يتيح له التّطهّر من ألم سحيق عذّبه طوال تلك السّنوات، وما النّهر الذي سيتفيأ معه ظل الشجرة إلّا تعبير عن نصره وتخلصه من عذاباته.

ومن جديد تفشل الذّات في التعامل مع الحاضر، والأشخاص الذين ينتمون إليه، لأنّها حبيسة الماضي، تتوافد الذكريات المؤلمة إلى ذهنه بصمت بالغ، مجتازة الحواجز التي يفرضها التّتابع الزمنيّ، ذلك أنّ "العقل لا يستطيع أن يوفق بين ما هو عليه، وبين الزمن الواقعيّ المتسلسل أو الزّمن الآليّ، لأن هذا العقل ينتقل دوماً من الماضي إلى الحاضر، فالماضي، دون أي اعتبار للتسلسل المنطقي"[3].

وضمن هذا الإطار، يسود زمن المستقبل في قصة "القطّة" لغادة السمّان، أكثر من غيره، فالوجود المأزوم للذات داخل الزّمن الرّاهن، ورغبتها في الانعتاق من الحاضر، يطرح وجوداً جديداً، قائماً على جملة من القرارات الّتي تخطّط للمستقبل، وترسم طريق حياة جديدة، يتابع المنولوج الداخلي غير المباشر، هذا التأسيس لمرحلة قادمة:

" لن تذهب... ستترك عملها في الشركة، ستهجره لأنّها تعبده. لن يفهم شيئاً ستظل أبداً قطّة المدينة. لن تتعرى أعماقها أمام أحد... لن تستسلم... الحبّ سلاح في يد الذين تحبهم، يعطيهم القدرة على أن يجرحوها ويذلوها. وهي لم تعد تريد أن تخذل، لا أحد يستحق أن يسمح له بجرحها... يا لله! كيف تنسلّ نظرات أسعد التي لا لون لها من الصورة العجيبة. فتتحسها مفجعة الرخاوة والبرودة.. كم تكرهه! وكم تكره أولئك الذين يحملون جوعهم في أعينهم، ويلتفون حولها! تنشر شعرها الغجري مع ضحكها وتخابثها اللذيذ. عالم مثير الألوان والأضواء يشدهم إليها أكثر... يلذّ لها أن ترقب عذابهم المراهق بمواء جوعهم وحقارة جوعهم وعري جوعهم أمام برودها.."[4]

تشكل الأداة (السين) نقطة ارتكاز للانطلاق والوثوب من جديد، وعلى الرّغم من العواقب التي يمكن أن تترتب جرّاء هذا التغيير، لكنّ الفتاة لا تهتم بهذه العواقب، فخيبة أملها بالشّخص الذي كان موضوع الحبّ، تملأ كيانها كلّه،الأمر الذي يدفعها إلى التأنيب اللاذع لذاتها إلى جلد ذاتها، لتقع تحت وطأة تبكيت الضّمير،إنّ عدم الاكتراث بمشاعرها، واختزالها في حدود جسدها يشكل جرحاً عميقاً لأناها، ومن هنا يبدو انقطاع صلتها بالماضي، انقطاعاً منطقياً، فبعد أن عمد الذّهن إلى تقديم الماضي بصورة مشوّهة مأساوية، وشنّ هجوماً عنيفاً ضده، أبدت الأنا خلال ذلك تشدداً وعدم تسامح، ليس فقط ضد الشّخصيات الموجودة فيه، وإنّما ضدّ أسلوب حياة سابق بأسره، ليمتزج صراعها

---

[1] – **مصطفى حجازي. *الإنسان المهدور*، (لبنان: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 291.**

[2] – **أنيسة عبود. *المصدر السابق*. ص 132**

[3] – **ليون إيدل. *القصة السيكولوجية*. ص 224.**

[4] – **غادة السمان. *عيناك قدري*. ص 49**

الدّاخليّ مع إحساسها الدائم بعدم الطمأنينة، الأمر الذي دفعها إلى تغيير أسلوب حياتها كلّه، فبدل من أن تتلقى الخيبة، ستصبح هي من يوزع الخيبات على الأخرين. وبذلك تنتقم لذاتها، ستصبح قطة المدينة.

إنّ الإخفاق في إشباع رغبتها بالحبّ قد أظهر الأعراض النفسيّة المرافقة لاضطراب ما بعد الصدمة، تنبثق الأفكار التي تعزّز شعور الخيبة والإحباط، وبذلك يمكن القول إن المنولوج الداخلي غير المباشر قد أسهم في تعبئة الذات بمشاعر القوّة والسيطرة، فالآخر الذي كان موضع حبّ، قد اصبح الآن موضع انتقام، وفي هذا تحقيق للشعور بالتّفوق، وتطهير للذّات من مشاعر الضّعف وانعدام القيمة، تبدو خطورة هذا التحول، أنّه يشمل الجنس الآخر جميعه دون تمييز، ومن دون الوقوف عند الفروق الخاصة بكل رجل، إنّ ما يهمها هو التأسيس للمستقبل، لذلك تنشط الأفكار التي تخطط للمستقبل وللأيام المقبلة، لقد أحكمت سيطرتها الذّهنيّة على الزّمن، بالسير به نحو الأمام وعلى طريقتها الخاصّة.

خاتمة:

وتلخيصاً لما سبق يمكن القول: إنّ حضور الزمن في قصص " تيار الوعي"، يسهم في الاستكشاف التدريجي لميدان الوعي، ويشير إلى عمق التحول في الروابط الزمنية، التي تتداعى أسسها، وتفكك أواصرها، وتتناثر داخل الذات، ليجري الإبحار في أعماق بالغة الاتساع. كما أنّ ظهور الزّمن يستند إلى الظّروف الّتي تمرّ بها الشّخصيّة، الأمر الّذي يجعل أحد الأزمنة بارزاً أكثر من غيره في بعض الأحيان، أو قد تمتزج الأزمنة جميعها في أحيان أخرى، يجري ذلك كلّه وفق منطق داخليّ نفسيّ بحت يسهم في فهم الإنسان، وفهم الظروف المحيطة به، كما أنّه يعطي القصّة المزيد من الغنى والتّنوع الأمر الذي يجعلها أكثر قدرة على مواكبة تعقيدات الحياة وتشعباتها

الاستنتاجات والتوصيات:

1 ✢ إن بناء الزمن في "تيار الوعي" لا يقتصر على رصد تأثيره الخارجي في الشخصية، وإنّما يحاول رصد التأثير الداخلي، من خلال رصد المتغيرات النفسية والفكرية، الناجمة عن التنقل في اتجاهات الزمن المختلفة.

2 ✢ لا يعترف ذهن الإنسان بالفواصل الّتي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وإنما ينتقل بحرية بين الأزمنة، فقد تظهر لحظة الحاضر إلى جانب الماضي، إلى جانب المستقبل.

3 ✢ إن تفجير " تيار الوعي" لطاقات الزّمن، وإزاحته عمّا هو متعارف عليه، وإعادة بنائه وفقاً للآلية النفسيّة، قد جعلت الزّمن يتّسم بالتعقيد والعمق من جهة، ومن جهة ثانية قد أبرزت ذاتيّة من خلال إبراز الجانب النفسيّ.

مصادر البحث:

1 السمان، غادة. عيناك قدري. بيروت: دار الآداب، ط3، 1975.

2 السمان، غادة. ليل الغرباء. بيروت: دار الآداب، ط3، 1975.

3 عبود، أنيسة. تفاصيل أخرى للعشق. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999.

4 عبود، أنيسة. غسق الأكاسيا. دمشق:اتحاد الكتاب العرب، 1996.

المراجـع:

1 إيدل، ليون. *القصة السيكولوجية دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة* . تر: محمود السمرة، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، 1959.

2 بدوي، عبد الرحمن. *الزمان الوجود*. بيروت: دارة الثقافة، ط3–1973.

3 حجازي، مصطفى. *التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور*. لبنان: معهد الإنماء العربي، ط4، 1986.

4 حجازي، مصطفى. *الإنسان المهدور*. لبنان: المركز الثقافي العربي، ط1 ، 2006 .

5 دولوز، جيل. *الصورة الزمن*. تر: حسن عودة، دمشق: وزارة الثقافة، 1999.

6 زيعور، علي. *الأحلام والرموز*. بيروت: دار المناهل، ط1 – 2002.

7 شاهين، سمير الحاج. *لحظة الأبدية دراسة الزمان في أدب القرن العشرين* . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 – 1980.

8 شبيل، عبد العزيز. الفن الروائي عند غادة السمان. تونس: دار المعارف، ط1–1987.

9 عبد السلام، فاتح. "*الحوار الداخلي وتيار الوعي في بناء الفن القصصي* " المعرفة. 4130 (كانون الثاني، 1980):93–104.

10 فرويد، آنا. *الأنا وأواليات الدّفاع*. بيروت: دار الطليعة، ط1– 1983.

11 فرويد،سيمغوند. *علم النفس الجمعي وتحليل الأنا*. بيروت: دار الطليعة، ط1– 1979.

12 متيريجان، *علم نفس وعلم جمال السينما*. تر: عبد الله عويشق، دمشق: وزارة الثقافة، 2000.

13 محمد، ولات. *دلالات النصّ الآخر في عالم جبرا ابراهيم جبرا الروائي*. دمشق: وزارة الثقافة، 2007.

14 همفري، روبرت. *تيار الوعي في الرواية الحديثة*. تر: محمد الربيعي، القاهرة: دار غريب، 2002.